١٦٥٦١

مجله	حضارة الاسلام
تاريخ نشر	سال ۱۴۰۰ هـ
شماره	۸ - ۹ - ۱۰ سال ۲۱
شماره مسلسل	
محل نشر	دمشق
زبان	عربی
نویسنده	ابوالاعلی المودودی
تعداد صفحات	۲۲ - ۴۳
موضوع سرفصلها	حقیقة الایمان
کیفیت	
ملاحظات	

حقيقة الإيمان

للأستاذ أبي الأعلى المودودي

رحمه الله

ان الايمان بالله هو اول واهم شيء في نظام الإسلام للعقائد والاعمال ، بحيث أن كل مافيه من العقائد الاخرى انما هي فروع لهذا الاساس ، وان كل ما فيه من الاحكام الخلقية والقوانين المدنية ، لا تستمد قوتها الا من هذا المركز. وذلك ان الاسلام ليس فيه شيء الا وان ذات الله مصدره ومرجعه . فما الايمان بالملائكة الا لانهم ملائكة الله ، وما الايمان باليوم الآخر الا لانه يوم عدل الله وقضائه بين خلائقه ، وما اتباع الاوامر ولا اجتناب النواهي الا لانها من عند الله .

تفاصيل عقيدة الايمان بالله :

ان هذه العقيدة ، وهي بمثابة المركز أو مصدر القوة في نظام الاسلام العظيم للفكر والعمل كما عرفت ، لا تنحصر في « ان الله موجود » فحسب ، وانما هي تحوز في ذاتها تصورا صحيحا متكاملا لصفات الله الى حيث يقدر الانسان تصورها ومن هذا التصور لصفات الله تحصل تلك القوة التي هي محيطة بجميع قوى الانسان الفكرية والعملية وهي حاكمة عليها .

ان الصورة المجملة للايمان بالله ، التي يكون الاقرار بها باللسان والتصديق بها بالقلب ، شرطا اساسيا لدخول الانسان في الاسلام ، هي الاقرار بكلمة : « لا اله الا الله » ، اي ان يسلب كل شيء في السموات والارض صفة الالوهية، ثم لا تثبت هذه الصفة وكل ما يتعلق بها من العواطف والافكار والاعتقادات والعبادات والطاعات ... إلا لذات واحدة هي ذات الله سبحانه وتعالى . كان هذه الكلمة تتركب من ثلاثة عناصر :

١ ـ تصور الالوهية ،

٢ ـ نفيها لكل موجودات العالم .

٣ ـ اثباتها لله وحده .

وكل ما قيل في القرآن الحكيم عن ذات الله تبارك وتعالى وصفاته ، انما هو تفصيل وشرح لهذه العناصر الثلاثة وليس غير .

فهو ـ اولا ـ قد بين للالوهية تصورا مكتملا صحيحا واضحا لا نجده في اي كتاب من كتب العالم ولا في اي دين من اديانه . لا شك ان تصور الالوهية موجودة في جميع الامم والاديان في العالم ، كما قلنا ، ولكنه خاطيء او ناقص في كل دين سوى الاسلام وفي كل امة غير الامة المؤمنة بالاسلام . فما الالوهية في بعض هذه الامم والاديان الا عبارة عن « الاولية » و « الواجبية » وما اريد بها في بعضها الا « المبدئية » وقد جعلت في بعضها مترادفة مع « القوة » ، وهي في بعضها اداة للترهيب والتخويف ، ومعناها في بعضها قضاء الحاجات واجابة الدعوات ، وهي في بعضها قابلة للتجزئة والفرقة ، وهي في بعضها متلونة بالتجسيم والتشبيه والتناسل وهي في بعضها متمكنة في السماء وقد نزلت بعضها الى الارض على صور الانسان . وانما الكتاب الوحيد الذي قد صحح وكمل هذه التصورات الخاطئة والعقائد الناقصة عن الالوهية هو « القرآن » فهو الذي قد قدس الالوهية ومجدها . وهو الذي قد بين انه لا يجوز أن يكون الاله إلا من يكون صمدا حيا قيوما لم يلد ولم يولد ، ويكون من الازل ويبقى الى الابد ، ويكون قادرا حاكما على الاطلاق ، ويكون علمه محيطا بكل شيء ورحمته واسعة لكل شيء وقوته غالبة على كل شيء ولا يوجد نقص في حكمته ولا عيب في عدالته ويكون واهبا للحياة ومهيأ لاسبابها ووسائلها ، ويكون مالكا لكل قوة من قوى النفع او الضرر ، ويكون كل من سواه محتاجا لعطائه فقيرا الى حفظه ورعايته ، ويكون اليه مرجع كل مخلوق في الدنيا ، يكون هو محاسبا ومجازيا لكل من سواه .

ومع ذلك قد بين القرآن ان صفات الالوهية هذه غير قابلة للتجزئة والتوزيع حتى يجوز ان يوجد في العالم عدة آلهة يكون كل واحد منهم متصفا بهذه الصفات كلها او بعضها ، ولا هي طارئة وقتية اي رهينة بالزمان حتى يكون اله من الآلهة متصفا بها حينا ومتجردا عنها حينا آخر ، ولا هي قابلة للانتقال حتى توجد اليوم في اله وتوجد بالغد في اله آخر .

ثم ان القرآن بعد بيانه هذا التصور الصحيح الكامل الواضح للالوهية ، بدل باقوى ما يكون من الكلمات واوقع ما يكون من اساليب البيان ان هذا العالم ليس فيه شيء او قوة يصدق عليها هذا التصور للالوهية ، اذ ليست كل موجودات العالم الا مسخرة محتاجة لغيرها ، باقية حينا وفانية حينا آخر ، غير قادرة على دفع الضرر عن نفسها فضلا عن أن تجلب النفع أو الضرر الى غيرها ، وما المصدر لأفعالها وتأثيراتها في داخل ذاتها ، وانما هي تستمد قوتها للبقاء والفعل والتأثير من غيرها .

وبعد هذا النفي فان القرآن لا يثبت الالوهية الا لذات واحدة هي المعروفة بـ (الله) ويطالب الانسان بان لا يؤمن الا بها وحدها ولا يسجد الا لها ولا يعظم الا اياها ولا يتعلق خوفا ولا طمعا الا بها ولا يستعين الا إياها ، ولا يتوكل الا عليها ويعلم علم اليقين انه راجع اليها ومحاسب بين يديها لا محالة وانه لا يتوقع حسن عاقبته او سوؤها الا على قضائها .

المنافع المعنوية للايمان بالله :

ان الايمان بالله اذا استقر في ذهن الانسان مع هذا التصور الواضح الكامل لصفات الله ، يرجع عليه بعدة منافع عظيمة لا يمكن ان ترجع بها عليه اية عقيدة أخرى . فمن هذه المنافع :

١ ــ سعة النظر :

ان اولى خصائص الايمان بالله ومزاياه البارزة انه يوسع وجهة نظر الانسان على قدر سعة مملكة الله غير المحدودة . الا ترى أن الانسان ما دام لا ينظر الى الدنيا الا على اعتبار علاقة نفسه ، فانما يكون نظرة محدودا بالدائرة الضيقة التي تكون محدودة بها قوته وعلمه ومطالب نفسه فهو لا يبحث عن قاض لحاجاته الا في هذه الدائرة ولا يخشى الا الاقوياء في هذه الدائرة ولا يتكبر إلا على الضعفاء في هذه الدائرة ، ولا تكون صداقته ولا عداوته ولا محبته ولا بغضاؤه ولا تعظيمه ولا تحقيره الا محدودة بهذه الدائرة ، كان نفسه هي المنظار الذي ينظر به الى كل شيء في هذا العالم ، ولكنه اذا آمن بالله ، يخرج نظره من هذه الدائرة الضيقة ويسبح الكون كله ، وهو عندئذ لا ينظر الى الكون على اعتبار علاقة نفسه ، وانما ينظر اليه على اعتبار علاقته بالله ، وهناك تقوم علاقة جديدة بينه وبين سائر الموجودات في هذا الكون ، فلا يرى فيه شيئا يستطيع ان يقضي له حاجاته او يجلب اليه نوعا من الضرر او النفع او يستحق منه التعظيم او الازدراء ، او الخوف او الرجاء ، وعندئذ لا تكون صداقته ولا عداوته ولا محبته ولا بغضاؤه لنفسه وانما تكون لله وحده . يرى أن الله الذي يؤمن به ليس بخالق ولا رازق له وحده أو لاسرته او لامته وحسب ، وانما هو خالق السموات والارض ورب العالمين ، وان ليست حكومته بمحدودة الى حدود وطنه ، وانما هو مالك الارض والسموات ورب المشرق والمغرب ، وان ليس هو وحده الذي يعبده ويطاوعه له راسبه بالطاعة ، وانما كل شيء في السموات والارض طوعا وكرها .

(تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن) « الاسراء : ٤٤ »

وهو عندما ينظر الى الكون على هذا الاعتبار ، لا يرى فيه شيئا غريبا على نفسه ولكن مستأنسا به متعرفا عليه ولا تبقى مؤاساته ولا محبته ولا صداقته ولا خدمته محدودة بدائرته التي انما وضع حدودها على اعتبار علاقة هذا الكون بنفسه .

اذن .... فالمؤمن بالله لا يكون ضيق النظر محدود الفكر ابدا ، وما اصطلاح « الدولية » الا ضيق محدود بالنسبة لسعة نظره ، وهو جدير بان يدعى « كونيا » أو « آفاقيا » .

٢ ــ الانفة وعزة النفس :

ثم ان الايمان بالله يرتفع بالانسان من حضيض الذل والهوان الى ارفع ما يكون من منازل الانفة وعزة النفس . كان من لم يعرف ربه يطاطىء رأسه لكل شيء في الدنيا اذا رأى فيه نوعا من العظمة والكبرياء او القدرة على نفعة او ضرره ، فكان ــ على هذا ــ يخافه ويمد اليه يده بالاستعانة والاستجداء ويعلق به آماله وأمانيه ، ولكنه لما عرف الله ربه ، علم علم اليقين ان الذين كان يمد اليهم يده ويستعينهم في قضاء حاجاته ، لا يقلون منه حاجة الى معونة ربهم :

(يبتغون الى ربهم الوسيلة) « الاسراء : ٥٧ »

وان الذين كان يدعوهم ويعكف لعبادتهم انما هم عباد امثاله

(ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم) « الاعراف : ١٩٤ »

وان الذين كان يرجو منهم المعونة والمساعدة ، عاجزون عن نصرة انفسهم فضلا عن ان ينصروه ويجلبوا اليه النفع او يدفعوا عنه الضرر :

(لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون) « الاعراف : ١٩٧ »

وان ليست القوة والغلبة والعلو والسيادة في واقع الأمر إلا لله وحده :

(وان القوة لله جميعا) « البقرة : ١٦٥ »

وان ليس له ولي ولا نصير من دون الله :

(ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير) « البقرة : ١٠٧ »

(وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) « آل عمران : ١٢٦ » .
(هو الرزاق ذو القوة المتين) « الذاريات : ٥٨ » .

(وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله) « يونس : ١٠٧ » .

(والله يحيي ويميت) « آل عمران : ١٥٦ » .

(وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله) « آل عمران : ١٤٥ » .

فالانسان عندما يحصل له هذا العلم ، يستغني عن كل قوة من قوى العالم ولا يعود يخافها ، وعندئذ لا يطأطيء رأسه امام أحد غير الله ولا يمد اليه يده بالاستعانة والاستجداء ولا يعظمه ولا يعلق عليه آماله .

٣ ـ التذلل والتواضع :

ولكن ليست هذه الانفة التي تنشأ في الانسان لايمانه بالله كالانفة الزائفة التي تنشأ فيه لفطرسته بالقوة والجبروت او الجاه والمال او الخبرة والكفاءة ، ولا هذه العزة للنفس ، التي تنشأ فيه لهذا الايمان عزة باطلة كالتي يشعر بها ولا نفسه لسبب النخوة والخيلاء والكبرياء والشموخ ، وانما هذه نتيجة لفهمه علاقته وعلاقة سائر الموجودات في العالم بالله العلي العظيم على أمثل وجه واكمله واحكمه ولذا لا تكون فيه الانفة إلا مقترنة بالتواضع ولا تكون فيه عزة النفس الا متصلة بالتذلل والخضوع . يعلم انه اعجز ما يكون امام قوة الله :

(وهو القاهر فوق عباده) « الانعام : ١٨ » ،

وانه لا قبل له بالخروج من حدود سلطة الله وملكوته :

(يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان) « الرحمن : ٣٣ » .

وانه هو والعالم كله فقير الى الله محتاج الى مغفرته ورحمته وان الله غني عن كل من سواه :

(لله ما في السموات وما في الارض) « البقرة : ٢٨٤ » .

(والله الغني وانتم الفقراء) « محمد : ٣٨ » .

وان ليست كل نعمة يتمتع بها في هذه الدنيا الا من عند الله :

(وما بكم من نعمة فمن الله) « النحل : ٥٣ » .

انى لعاطفة الاستكبار والخيلاء والغطرسة والشموخ أن تجد سبيلا الى نفس الانسان اذا استقرت في ذهنه عقيدة الايمان بالله على هذا النحو ؟ الى هذا يشير قوله سبحانه وتعالى :

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) « الفرقان : ٦٣ » .

٤ ـ ابطال الآمال الكاذبة :

ومن الفوائد العظيمة التي ترجع بها على الانسان معرفته علاقة ما بينه وبين ربه على الوجه الصحيح الكامل ، انها تبطل كل ما يكون فيه من الآمال الباطلة والاماني الكاذبة . ان هذه المعرفة هي التي يعرف بها الانسان أن لا سبيل له الى النجاة والفلاح والسعادة الا الاعتقاد الصحيح والعمل الصالح . والذين هم محرومون من هذه المعرفة ، منهم من يظنون ان هناك عدة آلهة في هذا الكون يشاركون الله في حكمه وانه من الممكن لهم أن يجعلوا منهم شفعاء عند الله :

(ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) « يونس : ١٨ » .

ومنهم من يقولون : ان لله ابنا قد امن لهم حق النجاة بتقديمه نفسه كفارة لذنوبهم ، ومنهم من يقولون : ان لهم من الذالة على الله ما ليس لغيرهم :
(وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله واحباؤه) « المائدة : ١٨ » .

فهذه وآمال باطلة كثيرة اخرى من امثالها تورط الناس في اوحال الاثم ، وتمهد السبيل في وجوههم الى المعاصي والذنوب لانهم بانكالهم عليها يغفلون عن تزكية نفوسهم واصلاح اعمالهم . أما عقيدة الايمان بالله ، التي يدعو اليها القرآن ، فلا مجال معها لمثل هذه الآمال الكاذبة والاماني الباطلة . يبين القرآن بكل صراحة ان ليست لاية أمة في الارض دالة على الله ، وما كل من في السموات والارض الا عباده وخلائقه وهو خالقهم وربهم جميعا .

(بل انتم بشر ممن خلق) « المائدة : ١٨ » .

وان ليست الكرامة والفضيلة للانسان الا على اساس تقواه .

(ان اكرمكم عند الله اتقاكم) « الحجرات : ١٣ » .

وان الله :

(لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل) « الاسراء : ١١١ » .

وان ليس كل من تحسبونهم اولادا لله او شركاءه الا عباده وعبيده :

(بل له ما في السموات والارض كل له قانتون) « البقرة : ١١٦ » .

وان ليس لاحد كائنا من كان ، ان يشفع عند الله الا باذنه :

(من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) « البقرة : ٢٥٥ » .

وانكم اذا كنتم لله على معصية في حياتكم فلن ينقذكم من مؤاخذته شفاعة شافع ولا نصرة ناصر :

(واذا اراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) « الرعد : ١١ » .

٥ ـ الرجائية وطمانينة القلب :

مع ذلك فان الايمان بالله يربي الانسان على كيفية نفسية قائمة على الثقة والرجائية لا تخذله بحال ولا تدعه لينقلب عليه اليأس والقنوط ، اذ الايمان كنز من الآمال الصادقة لا ينفد ولا يزال يزوده الانسان برصيد غير منقطع من قوة القلب وطمانينة الروح ، ويلقي في روعه انه ولو طرد من كل باب من ابواب الدنيا وانقطعت به الاسباب الظاهرة وفارقته الوسائل المادية كلها ، فان الله غير خاذله ابدا ، فعليه ان يظل في كل حين من احيانه واثقا بعفو الله راجيا في نصرته وتاييده ، لان الله الذي قد آمن به ، يقول بنفسه :

(واذا سالك عبادي عني فاني قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون) « البقرة : ١٨٦ » .

ويقول : (وان الله ليس بظلام للعبيد) « آل عمران : ١٨٣ » .

فلا تخافوا منه ظلما . ويقول :

(ورحمتي وسعت كل شيء) « الاعراف : ١٥٦ » .

فلا يساورنكم اليأس من رحمتي :

(انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون) « يوسف : ٨٧ » .

اما المؤمن فليس له بحال ان ييأس من رحمتي ويقطع الامل في عفوي وتاييدي ونصرتي ، بل له ان يتوب الي ويستغفرني كلما زلت به قدمه فعمل سوءا او ظلم نفسه واذن لا بد ان يجدني غفورا رحيما :

(ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) « النساء : ١١٠ » .

(قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا) « الزمر : ٥٣ » .

وانه اذا كانت اسباب الدنيا لا توافقه ، فعليه ان يترك التوكل عليها ويتعلق بي انا ، اذن لا ياخذه خوف ولا يداهمه حزن :

(ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا) « فصلت : ٣٠ » .

وان ذكري لهو البلسم الذي يجبر جروح القلوب ويملؤها ثقة وطمانينة :

(الا بذكر الله تطمئن القلوب) « الرعد : ٢٨ » .

٦ ـ الصبر والتوكل :

ثم ان هذه الكيفية ، كيفية الثقة بالله والرجاء في عفوه وكرمه تترقى في نفس المؤمن بالله حتى تبلغ به اعلى مدارج الصبر والاستقامة والتوكل على الله حيث يصبح عزمه مماثلا للحجر في صلابته واستحكامه ، ولا تستطيع كل مصائب الدنيا وآلامها ومضارها وخسائرها وقواها المادية إن تزل قدمه او تزحزحه قيد شعرة عما يكون عقد عليه عزيمته .

انه من المحال ان ينال الانسان هذه القوة والصلابة في عزيمته لوسيلة غير وسيلة الايمان بالله ، لان الذي لا يؤمن بالله انما يتوكل على الاسباب والوسائل المادية او الوهمية التي لا تملك لنفسها اية قوة ابدا وما مثلها في صلابتها واستحكامها الا كمثل بيت العنكبوت اتخذت بيتا :

(وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت) « العنكبوت : ٤١ » .

فالظاهر ان من كانت حياته قائمة بمثل هذه الاسباب الواهنة ، فان ضعفه امر مقضي لا مجال فيه للريب :

(ضعف الطالب والمطلوب) « الحج : ٧٣ » .

أما الذي قد التجأ الى جناب الله ولا يتوكل الا عليه : (فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) « البقرة : ٢٥٦ » ، لانه دائما مؤيد بقوة الله العلي العظيم :

(ان ينصركم الله فلا غالب لكم وأن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ؟) « آل عمران : ١٦٠ » .

ولا قبل لكل مافي الأرض من المصائب والآلام والمضار والخسائر بأن تزحزحه عن موضع الصبر والثبات ، والإستقامة والعزيمة اذ ليس كل ما يسر او ما يحزن في نظره الا من عند الله :

(قل كل من عند الله) « النساء : ٧٨ » .

وهو يعتقد اعتقادا جازما بانه لا يصيبه شيء في هذه الدنيا الا بعلم الله واذنه :

(قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا ، هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون) « التوبة : ٥١ » .

ان قوة الصبر والتوكل والاستقامة هذه هي القوة فوق البشرية التي استطاع بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام ان يواجهوا مصائب الدنيا وآلامها ويقوموا ماقدين العزيمة على تسخير العالم بدون ما اسباب مادية ظاهرة ؛ انظر الى سيدنا محمد ﷺ ، يأوي الى كهف في طريقه الى المدينة عندما يخرج من مكة بنية الهجرة وما معه في هذا الكهف الا صديق واحد . حتى يصل اليه اعداؤه ويقومون على راس الكهف ويخشى عليه صاحبه ؛ ولكنه لا يأخذه خوف ولا اضطراب نفسي ويقول لصاحبه :

(لا تحزن ان الله معنا) « التوبة : ٤٠ » .

فهل من الممكن ان ينال الانسان مثل هذه القوة النفسية العظيمة والعزيمة الحديدية والإستقامة غير العادية بوسيلة غير وسيلة الايمان بالله ؟

٧ ـ القناعة والاستغناء :

ثم ان الايمان بالله يزكي نفس الانسان ويطهرها من الحرص والطمع

والجشع والحسد والحقد والبغضاء وما اليها من العواطف الرذيلة والنزعات الركيكة التي تحمل الانسان وتحثه على سلوك الطرق بين افراد النوع البشري ، وذلك بأن الايمان يعمر قلب الانسان قناعة واستغناء ويجعله لا يتنافس ويتحاسد ولا يتباغض مع غيره ولا يتيه على وجهه في مجاهيل الظلم والعدوان ، وانما يبذل سعيه للبحث عن فضل ربه مترفعا عن الرذائل مقتنعا بما كتب له قليلا كان او كثيرا . والقرآن قد لقن المؤمن :

(قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم ، يختص برحمته من يشاء) « آل عمران : ٧٣ ـ ٧٤ » .

وقد اعلمه ان الرزق بيد الله وحده :

(الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) « الرعد : ٢٦ » .

وان السيادة والغلبة والعز والجاه والمال ـ كذلك ـ كلها بيد الله :

(قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شيء قدير) « آل عمران : ٢٦ » .

(أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده) « الاعراف : ١٢٨ » .

وقد اعلمه كذلك ان الله هو الذي قد اقام ذلك التفاوت والتفاضل بين عباده في الرزق والعز والمال والقوة والجمال والشهرة وما اليها من المواهب الاخرى ، الذي يجري عليه نظام العالم ، وان الله هو اعلم بما فيه مصالح عباده ، فلا يصح للانسان ان يحاول ادخال التغيير على نظامه ولا من الممكن ان يرافقه التوفيق اذا ما حاول ذلك :

(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) « النحل : ٧١ » .

(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) « النساء : ٣٢ » .

٨ ـ اصلاح الاخلاق وتنظيم الاعمال :

واكبر هذه الفوائد واحراها بالذكر والتنويه تلك التي يرجع بها الايمان بالله على حياة الانسان المدنية والاجتماعية . فهو ينشىء افراد المجتمع الانساني على الشعور بالتبعة ويطهر نفوسهم ويقيم اعمالهم على اساس متين من خشية الله في السر والعلانية ويصلح علاقاتهم بعضهم مع بعض ويطبعهم بطابع التزام القانون الالهي والتقيد بنظامه والقيام عند حدوده مما تنشأ به فيهم قوة داخلية

غير عادية تصلح حياتهم الاجتماعية وتقيمها على أسس قوية صالحة منظمة ،

ما كل ذلك الا من معجزات الايمان بالله لا يختص الا به وحده . انه لا قبل لاية قوة حاكمة في الدنيا ولا لاي تعليم او توجيه او تربية ؛ ولا لاي وعظ او تلقين بان تقوم بأداة مهمة اصلاح الاخلاق وتنظيم الاعمال على مثل هذا النطاق الواسع وبمثل هذه الجذور العميقة . ان القوى الدنيوية لا تنفذ الى روح الانسان ، وانما تتحكم في جسده ، بل لا تتحكم في جسده في كل مكان وفي كل وقت . وان تاثير التعليم والتربية والوعظ والتلقين ـ كذلك ـ انما يقف عند حدود العقل والفكر ، وذلك على مدى قصير جدا . اما النفس الامارة بالسوء ؛ فلا يقتصر امرها على انها لا تقبل هذا التاثير ، بل انها لا تدخر وسعا في اقامة سيطرتها على العقل نفسه .

اذن ... فالايمان هو العامل الوحيد الذي ينزل بقواه الاصلاحية قويا يتولى دائما مهمة ارشاده الى طريق التقوى والطاعة والانقياد في السر والعلانية ولا يترك نفسه دون ان يؤثر فيها تاديبه وتاثيبه .

ان الاعتقاد بعلم الله وقدرته هو الذي يرجع على الانسان بهذه الفائدة العظيمة ؛ وما هذا الاعتقاد ـ كما عرفت ـ الا جزء من اجزاء الايمان بالله . ان القرآن قد نبه الانسان في غير موضع من آياته على ان علم الله واسع لكل شيء وانه لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء . يقول عز من قائل :

(ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم) « البقرة : ١١٥ » .

(اينما تكونوا يات بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير) «البقرة : ١٤٨ » .

(ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء) « آل عمران : ٥ » .

(ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد) « ق : ١٦ » .

(اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) « البقرة : ٧٧ » .

ومع كل هذا فان القرآن قد القى في روع الانسان انه لا بد له من الحضور

بين يدي ربه :

(واعلموا انكم ملاقوه) « البقرة : ٢٢٣ » .

(واعلموا انكم اليه تحشرون) « البقرة : ٢٠٣ » .

حيث لا بد ان يحاسبه ربه على كل صغير او جليل من اقواله وافعاله :

(ان الله كان على كل شيء حسيبا) « النساء : ٨٦ » .

(ان بطش ربك لشديد) « البروج : ١٢ » .

ان هذه العقيدة ، عقيدة الايمان بالله ، التي قد عني القرآن عناية تامة بارساخها في ذهن الانسان على غير اسلوب واحد ، هي القوة المنفذة لقانون الاسلام في حقيقة الامر . فالحدود التي قد وضعها الاسلام بين الحرام والحلال والاحكام التي قد امر بها في الاخلاق والاجتماع والمعاملات ، لا يتوقف نفاذها على القوة ولا على التعليم والتلقين ، وانما هو ذلك العليم الخبير الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والارض والذي لا يستطيع الانسان ، اذا خالف احكامه ، ان يستتر عليه جريمته او يسلم من محاسبته باية حيلة من الحيل . ولذا فان الله سبحانه ما انزل في القرآن حكما من الاحكام الا وقد اعقبه بالتنبيه على مثل قوله :

(تلك حدود الله فلا تعتدوها) « البقرة : ٢٢٩ » .

ومثل قوله : (واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير)«البقرة:٢٣٣»

* * *

مناجـاة

« اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني ، وتعلم سري وعلانيتي ، لا يخفى عليك شيء من امري ، وانا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق ، المقر بذنبه ، اسالك مسالة المسكين ، وابتهل اليك ابتهال الذليل ، وادعوك دعاء الخائف الضرير ، ودعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسمه ورغم لك انفه ، اللهم لا تجعلني بدعائك شقيا ، وكن بي رؤوفا رحيما ، يا خير المسؤولين ويا خير المعينين » .